ما كان لكم أن تنبتوا شجرها

الإنبات من أهم العمليات الحيوية التي تتم على سطح الكرة الأرضية وهي من دلائل القدرة الإلهية في الكون ولولا الإنبات ما كان في الدنيا نبات ، ولولا النبات ما كان على الأرض يخضور (كلوروفيل) ولولا اليخضور ما كانت على الأرض حياة.

قال تعالى: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون) [1]

حدائق ذات بهجة : بساتين ذات حسن ورونق

قوم يعدلون : ينحرفون عن الحق إلى الباطل

هذه الآية من آيات الإعجاز النباتي في القرآن الكريم والقرآن كله معجز فقد تحدى الله سبحانه وتعالى من ينحرفون عن الحق إلىالباطل ومن يجعلون مع الله آلهة سواء كانت أصناماً أو أناساً أو ظواهر كونية ، أوآلهة مادية أو أيديولوجيات غير إيمانية تحداهم الله سبحانه وتعالى بأنهم لن يستطيعوا إنبات بذرة واحدة من بلايين البذور والحبوب التي تنبت كل لحظة على الأرض لتعطي الأشجار والحدائق ذات البهجة والرونق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ربطت الآية في إعجاز معجز بين الماء والإنبات ، فالماء شرط ضروري وأساسي للإنبات، وقد تظل البذور أو الحبة في التربة سنوات عدة لا تنبت ولا تتحرك إلى أن ينزل عليها الماء فتبدأ العملية العجيبة المعجزة عملية الإنبات التي يجريها أطفالنا بوضع الحبوب والبذور فوق القطن المبلل بالماء وهم لا يدرون أنهم يقومون بعملية من أعقد العمليات الحيوية في عالمي النبات والكيمياء الحيوية ، وهذا العملية تحدى الله سبحانه وتعالى بها من يشرك به أن يقوم بمثلها بعيداً عن أسباب الله في خلقه من جنين حي وماء به كل شيء حي .

فإذا سقط الماء على البذرة أو الحبة تشربت الماء بفعل قوى التشرب والقوى الأسموزية، والعلاقات المائية للنبات ذات القوانين الرياضية الدقيقة والمعقدة والتي كان يرهقنا فهمها أثناء دراستها والتي مازالت ترهق طلاب الدراسات العليا عند تدريسها لهم . هذه القوى وضعها الله سبحانه وتعالى في غلاف الحبة ، أو قصرة البذرة ، فإذا كان الغلاف غير منفذ للماء لا يصل الماء إلى الجنين داخل الحبة أوالبذرة فتفشل عملية الإنبات .

وبعض البذور فعلاً ذات قصرة (غلاف البذرة) صلبة غير منفذة للماء تماماً (بذور نبات الخروع) ولكن الله سبحانه وتعالى الذي أحسن كل شيء خلقه زود هذه البذور بثقب في مقدمة البذرة هذا الثقب
محاط بتركيب اسفنجي
يتشرب الماء بسرعة يسمى
البسباسة (Caruncle)
فينفذ الماء من هذا الثقب
ويصل الجنين .

هل هذا التركيب الإسفنجي
خلق بالصدفة وبدون خالق
عليم خبير ؟ أو خلق بدون
قوى لا تعقل ولا تعي ؟ ولا تفكر ؟ كما يدعي الدارونيون ، الماديون ومن يشايعونهم من المتمسلمين الماديين غير العابدين لله حق عبادته قال تعالى :(مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[2].

فلو دخل الماء إلى البذرة أو الحبة تحدث فيها تغيرات فيزيقية حيث تنتفخ الحبة وتزداد في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجم بفعل قوى التشرب، فيتمزق الغلاف، وفي نفس الوقت تحدث عمليات كيميائية كبيرة حيث يبدأ الجنين في فرز فيض ثجاج من الأنزيمات المحللة للمواد الغذائية المدخرة في البذور والحبوب فتحولها ــ من مواد معقدة التركيب كبيرة الحجم لا تنفذ إلى خلايا الجنين ولا يستطيع استغلالها ــ تحولها إلى مواد بسيطة التركيب صغيرة الجزيئات تنفذ خلال أغشية وجدر الخلايا حيث يستغلها الجنين ويتغذى عليها .

ومن العجب أن ونوع الأنزيمات يتوافق مع نوع الغذاء المدخر ، وهذه الأنزيمات تحلل بعض المواد شديدة الصلابة كتلك الموجودة في ثمار نبات الدوم والتي يصنع منا أزرار الملابس الصلبة ، تحولها إلى مواد رخوة لينة في قوام اللبن ، حلوة الطعم سهلة الهضم والامتصاص .

العمليات السابقة تتم في درجة حرارة من (٢٥ــ ٣٥س) وإذا أردنا أن نجري نفس العمليات في المختبر فإننا نحتاج إلى حمامات من الماء المغلي وإلى إضافة أحماض حارقة وكاوية ومحللة ، ونحتاج إلى مبردات ومكثفات وأجهزة قياس دقيقة للحرارة ومهندسين وعلميين وفنيين تزيد أعدادهم على المئات ونحتاج إلى مصانع ذات ضجيج عال وابخرة سامة متصاعدة وتلوث للبيئة ورؤوس أموال ضخمة .

هذه العمليات تتم في هدوء عجيب ، وسكون تام داخل تلك البذور التي وضعها الطفل فوق قطعة القطن المبللة بالماء . هذه العمليات المعقدة تحدث في حقل الزراعة البسيطة الذي لا يعرف معادلات ولا مختبرات ولا أبحاث .

من فعل هذا ؟ أعله مع الله ؟ الطبيعة ؟ الكون ؟ كما يقول الماديون العلمانيون ، إن من يعتقدون بذلك ويقولون به لا يفترقون في تفكيرهم عن هؤلاء السذج الجهلاء .

الذين يقولون عن البرق والرعد (أن جمل الشتاء يصارع جمل الصيف في السماء) .

ولا يفترقون عن الذين يقولون عند حدوث الزلازل والبراكين : (أن هناك ثوراً يحمل الدنيا على قرنه، وهو يبدل حملها إلى القرن الآخر لأنه تعب ؟)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد ذلك تبدأ عمليات حيوية رائعة ومثيرة
انقسام خلوي عجيب وصبغيات
(كروموسومات) ومغازل تنسج وجدر تبنى ،
وحرارة تنبعث وحياة تدب وهرمونات تتكون
وفيتامينات تعمل وأعضاء تتكشف وجذير
يتجه إلىالأرض وسويقة تتجه إلى أعلى في
حماية عجيبة وتقدير دقيق وتتكون الأوراق
والبراعم والأزهار والثمار وغيرها من بلايين العمليات الحيوية المعجزة .

بعض البذور رغم توف ركل شروط الإنبات لا يمكن أن تنبت وبعض النباتات تحتاج بذورها إلى فترة سكون (Dormancy) تختلف من برهة إلى مئات السنين حسب نوع النبات ، ولولا فترة السكون هذه لأنبتت بعض البذور في الحقول وهي مازالت على النبات الأم قبل حصادها ولتعذر الحصاد وانبتت البذور أثناء الدراس وفي اماكن إعدادها وثناء تخزينها .

وبعض البذور رغم توفر جميع شروط الإنبات لا تنبت لأن جنينها غير ناضج ، أو إن بعض المواد المثبطة للنمو والإنبات تكون موجودة في غلاف الحبة أو قصرة البذرة وتحتاج إلى عوامل كثيرة حتى تتلاشى وينبت النبات .

وبذور بعض النباتات المتطفلة لا تنبت مطلقاً إلا إذا وجد عائلها الذي تتطفل عليه ولو أنبتت في غيابه لكان الهلاك والفناء هو مصير البادرات التي نتجت عن هذا الانبات فمثلاً نبات الفول (Vicia Faba) يتطفل عليه نبات الهالوك (Orbanche) ولا يمكن أن تنبت بذور الطفيل (الهالوك) إلا إذا انبت بذور العائل (الفول) .

من هدى هذه البذور إلىهذا السلوك العجيب ؟ إعله مع الله ؟ هل الطبيعة الصماء التي لا تعي و لا تفكر يمكنها أن تخلق ذلك ؟؟ وصدق الله رب العزة في قوله تعالى :(مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون)[3]

المصدر كتاب آيات بينات من القرآن و عالم النبات
تأليف الدكتور نظمي أبو العطا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com